

الخير والشر في الحكمة المتعالية

محمد قراکز لو^{*}

تعریف: محمد حسن زراظط

تناول الدراسة التالية نظرة صدر المتألهين الشيرازي صاحب الحكمة المتعالية إلى إشكالية الشر، وذلك من خلال مقارنتها ومقارنتها مع نظرات أخرى لدى العرفاء والمتصوفة وال فلاسفة والمتكلمين.

حيث يخلص صدر المتألهين إلى القول: بأن الخير هو "كل ما يتشوقه كل شيء ويتوخاه ويتم به". وينذهب إلى تقسيم الأشياء بحسب معيار الخير والشر إلى أربعة أقسام: خير محض، وخير غالب على الشر، وشر غالب على الخير، وشر محض.. مع تأكيده بأن الخير ذو طبيعة وجودية بينما الشر ذو طبيعة عدمية.

لله الملك وله الحمد ولا قدیم سوی الله
من یجد خیراً فی نفسه فلیحمد الله
ومن یجد شرراً فلایلومن إلا نفسه

إن مقولتي الخير والشر في الحكمة المتعالية من المقولات التي يمكن أن يبحث عنها من زاوية الوجود والعدم، كما غيرها من المسائل الأساسية. ولكن يجدر الالتفات إلى هذه المسألة؛ وهي أنه بالرغم من معالجة مفهومي الخير والشر بواسطة ميزان الوجود والعدم؛ إلا أن وجهة نظر صدر المتألهين تمتاز بميزات خاصة.

مثلاً يقول الشيخ محمود شبستری فى دیوانه "کلشن راز" (حدیقة الأسرار) .

الوجود حيث يوجد هو مَحْضُ الْخَيْر

وإذا لوحظ فيه شر فهو من الغير(العدم).^(١)

ويقول صراحة في الباب الرابع من رسالته "حق اليقين": "الوجود عين الخير، والعدم عن الشر، والشر ناشئٌ من الاعتقاد، والنسبة". (٢)

رغم هذه (المعالجة الوجودية) لمسألة الشر إلا أن روح وجوهه تصور ملا صدرا هو في أنه ينظر إلى الخير والشر في آثاره كلها من زاوية الوجود والعدم وعلى النحو الآتي: "فالوجود كله نور، والظلمات أعدام وإمكانات".^(٢)

وبحسب ملا صدرا، بما أن الوجود أظهر الأشياء، فهو في كل مكان وفي كل موجود نور وحياة، وكل ظلمة في عالم الوجود ناشئة من الهيولى (حيث إنها المواطن الأصلي للأعدام ولكل قوة) وهي أصل ومصدر كل الشرور.^(٤)

ويذهب كذلك إلى أن الشر الحقيقي هو أمر بالقوة وعدمي".^(٥)
ويقول في كتابه "الأسفار الأربع": "كل ما يتשוקه كل شيء ويتواه ويتم به هو خير"
ويؤمن في هذا الكتاب بأن الأشياء كلها بحسب معيار الخير والشر تنقسم إلى أقسام
أربعة هي: خير محض، وخير غالب على الشر، وشر غالب على الخبر، وشر محض..

فالخير المحسن هو المطلق هو الوجود الأصلي وواجب الوجود الواحد الذي هو بسيط قائم بالذات وواحد حقيقي.

وأما الشر المحض، فهو عدم محض لا وجود له. وبحسب هذا الدليل الواضح - بالمنطق الصرائي - كل موجود هو خير بمقدار حظه من الوجود. وأما الخير الغالب على الشر، والموجود المبرأ من شائبة العدم والذي يمكن القول: إنه خير محض من بعض الجهات، فهو الموجود القوي في رتبة الوجودية والذي يكون خيره أكثر من شره. والقسم الرابع والأخير هو الموجودات الفاسدة التي تقع في معرض التحولات وهي

التي يغلب شرها^(٦).

ويقول العلامة الأشتياني في مقام توضيح وشرح هذه النظرية الصدرائية المتطابقة مع التصور الأرسطي: "الموجودات إما خير ممحض وإما خير غالب. وذلك أن الاحتمالات الواردة في المقام هي: أن يكون الشيء شرًا محضاً أو شرًا غالباً أو متساوٍ في الخير والشر، أو خيراً محضاً أو خيراً غالباً. والشر الممحض هو عدم صرف، والشر الغالب إذا وجد يكون ترجيحاً للمرجوح، والمتساوي وجوده ترجيح بلا مرجع.

إذاً ما يوجد إما أن يكون خيراً محضاً أو خيراً غالباً؛ وذلك لأن عدم وجود القسم الأخير بحجة الشر القليل يجعل الخير قليلاً وهو ارتکاب للشر الكبير".^(٧)

وكذلك يقول تلميذ صدر المتألهين وشارحه الأبرز ملاهاوي السبزواري: إن الشر القليل إذا قيس بالخير الكثير لا ينظر إليه، ولا يقاس به إذا أخذ في الاعتبار نظام الخلق الكلي:

مَا لِيْسَ مَعْوِزَنَا لِبَعْضِ مِنْ نَعْمَلِ
فِي نَظَامِ الْكُلُّ كُلِّ مُنْتَظَمِ
وَهُوَ يَنْظَرُ إِلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ مِنَ الزَّاوِيَةِ الَّتِي يَنْظَرُ إِلَيْهَا أَسْتَادُهُ، وَيَرِيَ أَنَّ الْوِجُودَ أَمْرٌ
حَقِيقِيٌّ وَمَصْدِرٌ كُلِّ خَيْرٍ وَحُسْنٍ وَشَرْفٍ وَجَمَالٍ وَيَقُولُ:

لأنه منبع كل شرف

والفراغ بين نحوي الكون يفي^(٨)

وعن هذا البيت الأخير يقول الشهيد مطهرى شارحاً: "الشر إما عدمي أو منه إلى العدم، والأعدام هي منشأ الشرور كلها... والشر إما عين العدم كالجهل، وإما منشأ العدم كالزلزال. وبالمقارنة بين الجهل والعلم يتبيّن أن الجهل شر والعلم خير، ولكن الجهل ليس أمراً واقعياً له تحقق في عالم الواقع، بل هو نفي للواقع وعدم للعلم. وبعبارة أخرى: عندما يكون الإنسان جاهلاً ويصبح عالماً هل يكون قد فقد شيئاً أم أنه امتلك شيئاً كان فاقداً له؟... وعندنا بعض الشر ليست عدماً، إلا أن الشر لا ينطبق عليها من حيث وجودها، بل من حيث كونها منشأ للمعدم مثل الزلزال والسيول.

ومن هنا يمكن القول: إن المنشأ والأصل لجميع الشرور هو العدم، وبما أن العدم هو النقطة المقابلة للوجود يصح القول: إن الوجود منشأ الخير أو خير. والوجود من حيث هو وجود خير ولو كان منشأ للشر فهو شر... ولذلك يقول ملا هادي السبزواري: "لأنه

منبع كل شرف".^(٩)

ونظراً لما بين فلسفة ملا صدرا وفلسفة المشائين والإشراقيين والعرفاء من ترابط وثيق، فإننا نجد في كتبه ومؤلفاته وقع خطواتهم، مع خصوصية مهمة هي أن صدر المتألهين ليس راوياً لفلسفة هؤلاء وأرائهم، بل هو صاحب رأي خاص وبأن لنظريات فلسفية مستقلة.

ولذلك فإننا نجد أن صدر المتألهين ومربيه ينظرون في تحليلهم للخير والشر إلى فلسفة السهروردي الإشراقي، ونجد أن صدر المتألهين يجمع في موقفه من شيخ الإشراق بين المحبة والاحترام والنقد المتكرر.

وإذا رجعنا إلى السهروردي نجد أنه يقف موقفاً مشابهاً من الشر، حيث يرى أن الشر القليل في عالم الخلق لا يُنْتَفِتُ إليه ولا يضر بالنظام الأكمل الذي عليه هذا العالم: "ومن المكنات ما هو بريء من الشر والفناء وهي العقول ونحوها. ومنه ما فيه خير كثير ويلزمـهـ شـرـ قـلـيلـ،ـ وـظـاهـرـ أـنـ تـرـكـ خـيرـ كـثـيرـ لـشـرـ قـلـيلـ شـرـ كـثـيرـ،ـ وـلـاـ يـصـحـ أـنـ يـقـالـ:ـ لـمـ مـاـ جـعـلـ هـذـاـ قـسـمـ بـرـئـاًـ عـنـ الشـرـ؟ـ إـنـهـ مـحـالـ؛ـ إـذـ لـاـ يـصـحـ أـنـ يـجـعـلـ الشـيـءـ غـيـرـ نـفـسـهـ فـإـنـ لـمـ يـجـعـلـ هـذـاـ قـسـمـ كـانـ وـقـعـ الـاقـتصـارـ عـلـىـ الـقـسـمـ الـأـوـلـ وـلـمـ يـجـعـلـ هـذـاـ قـسـمـ". (١٠)

ويرى السهروردي أن نظام الوجود هو النظام الأتم والأكمل الذي لا يمكن تصور ما هو أكمل منه. ولا محل بحسبه، لوجودِ من دون معيار أو تابع لإرادة جزافية؛ لأن الوجود مساوٍ للضرورة فإما أن يكون كما هو أو لا يكون. وعلى ضوء هذه الرؤية يعتبر السهروردي أن نظرية أبي البركات البغدادي من أسوأ النظريات وأكثرها شؤماً في مجال شرح الإرادة الإلهية؛ حيث يرى البغدادي أن الإرادة الإلهية حادثة وغير متجاهلة وكل فعل يفعله الله يفعله بإرادة خاصة، فيطرأ التغيير والتبدل على الإرادة الإلهية. ويقول السهروردي في تقييم هذه النظرية: " وأنـسـ هـذـهـ المـذـاـهـبـ ماـ وـقـعـ عـلـىـ الـعـمـيـاءـ لـهـذـاـ المـجـنـونـ المـطـبـ أـبـيـ الـبـرـكـاتـ". (١١)

وفي موقف للسبزواري من الشر يرى أن الشر هو مقتضى "استدعاء ذاتيات ولوازم الأشياء وعلى وفق ما هي عليه في نفس الأمر، ونفس الأمر نشأة علمية"، وفي جواب عن سؤال: "كيف يريد أهل الشر شرهم؟" يقول: "الإرادة الأولى في نشأة العلم لم تكن موصوفة بالخير ولا بالشر؛ وذلك لأن خير الشيء ملائم لوجوده وشره ما ليس ملائماً لوجوده وهذا فرع الوجود. وفي نشأة العلم كانت الموجودات موجودة بوجود طفيلي تبعاً لوجود الحق ووجود القلم واللوح، والوجود الخاص بهذه الأشياء وجودات مشتتة لها في عالم ما لا يزال، وحيث وجدت هذه الأشياء فيما هو مناسب لوجودها سمي خيراً وما كان منافراً سمي شراً". (١٢)

والمثال الذي يطرحه السبزواري لهذه النظرية يستحق التأمل؛ حيث يقول: "لو أن شخصاً عزم قبل الربيع على تأسيس حديقة أو بستان مشحون بالأشجار المتنوعة المنظمة والورود والرياحين المنضرة؛ وعندما أتى الربيع بدأ بإنشاء هذه الحديقة وغرس فيها أشجار الفواكه فأتمرت. وبعد ذلك لو علا صوت المشمش واعتراض على صفرته، و قال الخوخ: لم جعلتني أحمر وحامضاً من دون رائحة بينما أعطيت للفتاح حلاوة الطعام وطيب الرائحة؟ والأرز أخذه الحسد من الورد فلم يعجبه إقصاؤه إلى باطن البستان لمصلحة الور؟ الذي يزين جوانب الطريق، وهكذا كلّ أخذ بالاعتراض وتطويل اللسان، ولا شك في أن جواب هذه الاعتراضات هو أن ماهياتكم في علم صاحب البستان كانت تقتضي هذه الذاتيات واللوازم التي أنتم عليها وعند وجودكم وجدتم وفق ما أنتم عليه في النشأة العلمية".

هذا نوع وهناك نوع آخر من الاستعدادات التي تقتضيها المادة في الأشياء المادية، كما لو اعتراض العصفور وقارن نفسه بالحمام، وهذا الأخير قاس نفسه بالعقاب، وكذلك لو اعتبرت الدواب على خلقها المنكوس إلى جهة الأرض بخلاف الإنسان ذي القامة المنتسبة إلى الأعلى على أحسن تقويم؟ فالجواب هو أن هذا ما أردتم؛ وذلك لأن نطفكم المتنوعة واستعداداتكم تستدعي أشكالاً متفننة. وموادكم هي التي اقتضت ذلك. وهذه مشكلة المركبات من المادة والصورة فالمادة ليست أجنبية عن صاحب المادة...". (١٢)

ومن كل ما تقدم يظهر أن لب وخلاصة تصور الحكماء والعرفاء المسلمين، هي أن الشر لا تنقض العدل وإرادة الخير عند الله ولا حكمته البالغة. (١٣)

بل إنهم يعتقدون أن كل ما يصدر عن الذات الإلهية التي هي خير مطلق، خير. يقول صاحب "ڪَلَشن راز" (حديقة الأسرار) لا يصدر من الجميل إلا الجميل". وبالتالي كل ما له حظ من الوجود خير وجمال وشرف والشر لا وجود له.

ومن المنطق عينه يرى الشاعر الإيراني سنائي في "الحديقة" أن ذاك الذي اعترض على اعوجاج شكل الجمل غافل حيث يقول على لسان الجمل:

قال الجمل لمن يعترض على شكله

إحـذر فـإنك تلوم الرسـام

لا تنظر إلى اعـوجاج الشـكل

واطلب فيـ السـير المسـتقـيم

فـهـذا الشـكل المعـوج هو الأنـسب

فـمن اعـوجاج القـوس تـنشأ الإـستـقـامة (١٤).

والغزالى يقف على الأرض عنديها، ويرى أن المصلحة تكمن في ما هو قائم بالفعل من موجودات مستقيمة ومعوجة. وهو يرى أن كل ما هو موجود في هذا العالم مخلوق له سبحانه وتعالى وقد خلقه. على أحسن صورة وأتم شكله بحيث لا يمكن تصور ما هو أحسن ويقول: "لو أن عقول العقلاة جمِيعاً تظاهرت لتدارك هذا العالم بصورة أحسن مما هو عليه أو تنقص منه شيئاً ليعدل، أو تزيد على ليكتمل ما كان لهم ذلك. ولكنوا مخطئين في ما يقتربون ولغفلوا عن مصلحة هنا وفسدة هناك ومثلهم كمثل الأعمى الذي يدخل قصراً منظماً وضع فيه كل شيء في مكانه، فإذا عثر وزلت قدمه اعترض على وضع هذا الشيء في الطريق؟ غافلاً عن أنه هو الذي لم يبصر طريقه".^(١٦)

وعليه يمكن اختصار رؤية الغزالى بأن الصانع صنع كل شيء كما يجب أن يصنع، وعلى حد قول سنائي الشاعر:

في العـالم كـل مـا ذـهب وـأـتـى

وكـل مـا هـو مـوـجـود وـاجـب.

وعلى أي حال لو كان بالإمكان أحسن مما كان، تأتي مسألة البخل والعجز وهاتان الصفتان من الحالات في حقه تعالى؛ ولذلك فإن الغزالى يعتقد أن كل ما في الكون من ألم ومرض وعجز وفقر عين العدل ومحض الخير.

وبالعودة إلى ما تقدم نقله عن الشيخ محمود شبسترى نجد أنه يؤكد مصدراً أن مفهوم الشر يولد من الاعتبار ونسبة الأشياء إلى بعضها وهذه هي مشكلة الإنسان فإنه لا يتصور الأشياء كما هي بحد ذاتها وبغض النظر عن ارتباطها بغيرها، بل يتصورها كما يستحضرها في ذهنه مربوطة بأشياء أخرى في كثير من الأحيان؛ ولذلك فإن شبسترى يرى أن كثيراً من الكيفيات والصفات التي تُضفي على الأشياء هي وليدة العقل الإنساني أكثر مما هي وليدة واقع الأشياء.

وللتوضيح نضرب هذه الأمثلة: فإن الذهن الإنساني هو الذي يرى في الحصان

حيواناً نجيباً وفي الحمام والبلبل والقمرى والكتار طائراً جميلاً يدعوه إلى حبس بعضها في القفص ليتمتع بجماله بخلاف النسر مثلاً، مع أن هذا الأخير ليس قبيح الشكل في الواقع؛ والسبب في هذه الاعتبارات هو العادة والأنس ليس إلا. وعلى هذا النحو يتعامل مع المدركات النظرية أيضاً، فيحملها على الأشياء كما ترسم في ذهنه و يجعلها المعاير في تعاطيه وأحكامه.

وليبق حياً ذكر الشاعر الإيرانى سهراب سپهري؛ حيث يقول بمطلع قصيدته "لست

أدرى":

لست أدرى لماذا يحكمون بنجابة الجمل وجمال الحمام
ولماذا لا نرى أحداً يسكن نسراً في قفص

وماذا ينقص البرسيم الأحمر بالقياس إلى الأقحوان

لا بد من غسل الكلمات

الكلمة لا بد أن تكون عين الريح ...

الكلمة لا بد أن تكون عين المطر. (١٧)

هذا ولا يخفى أن سهراب سهري يفرط في اختزال قضية الخير والشر والجمال
والقبح إلى كلمات ومسائل اعتبارية.

وفي الموضوع عينه يحاول الدكتور ديناني توضيح الأمر على النحو الآتي: "لا يمكن
اعتبار لحن ما غير منسجم في عالم التكوين إذا كان شخص ما يشعر به كذلك في أذنه.
فالاذن الإنسانية ترى أن صوت البible عذب بينما يصنف صوت الحمير على أنه أنكر
الأصوات، ولكن عندما نتحدث عن نظام الخالق الكلي فالأمر يختلف تماماً فربما يتساوى
صوت الحمار مع صوت البible". (١٨)

ويمكن النظر إلى هذه المسألة من زاوية أخرى؛ ذلك أنها لا نعثر على أمر يكون شرآ
بالمطلق ومن جميع الجهات، فربما كان شيء ما شرآ ضمن إطار ولكن عندما ينقل إلى
إطار آخر يغدو خيراً. والإنسان عادة يحكم في تقييمه للأشياء نظاماً ذهنياً خاصاً. من
هنا، نرى أن زكريا القزويني يعطي للمسألة بعداً آخر حيث يقول: "كل ما في الكون مثير
للدهشة والعجب، وهذه الدهشة يدركها الإنسان في حال الطفوقة وعند فقد التجربة،
ولكن بعد أن تراكم تجاربه وتبرز فيه ظاهرة العقل بالتدريج نجد أن هذه الدهشة تبدأ
بالزوال إثر انشغاله بقضاء حوائجه وأنسه بمداركه وتسقط من عينه كثير من الأشياء
الدهشة وأقصى ما يفعله عند رؤيته لحيوان عجيب أوامر خارق للعادة هو أن يطلق
لسانه بالتسبيح". (١٩)

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: هل يعد حُسْنُ الْجَمَالِ أمراً اعتبارياً يتشكل بحكم العادة
فحسب؟ بمعنى أنها تحكم على الكنار بأنه جميل فقط؛ لأننا اعتدنا منذ الصغر على
الحكم بجماله ولرؤيتها له في القفص؟ بحيث لو اعتدنا على رؤية النسر في القفص
أيضاً لأعطيناه نفس التقييم الجمالي؟

وعلى أي حال يؤمن المعتزلة والشيعة الإمامية بأن الله الحكيم العادل منزه عن الظلم
وفعل الشر، وأن الإنسان حر مختار في أفعاله يزنها بميزان العقاب والثواب والتکلیف

وما شابه، مع كل هذا نجد أن اهتمام المعتزلة بمسألة الشر أقل بالقياس إلى اهتمام الأشاعرة الذين ينتمي إليهم أكثر العرفاء والمتصوفة.

الخير والشر عند جلال الدين الرومي.

حتى لو قلت بأن الشر كما الخير فعاله

لا ينقص قولك فضلاً أو يخداش جماله

فال فعل السعي رشحة جود من فضله

وَالِيْكَ مَثَلًا يُشَبَّهُ بِتَدْعَى وَانَا

فَالرَّسَامُ يَخْطُبُ بِرِيشٍ تِهَوْجَه

القبيل يحيى كما الوجه الحسن. (٢٠)

وهكذا، فإن هذا العارف يرى أن كل ما في العالم من موجودات هو تجلٌ للصفات الإلهية من جلال وجمال، وقهر ولطف، وبما أن الذات الإلهية لا مثيل لها ولا ضد فكل ما هو موجود من خير وشر صادر عنها، وقد يبدو في هذا الأمر تنافضاً بحسب العالم الخارجي، إلا أنه عند العارف ليس إلا تجلياً من تجليات الذات وصفاتها. واستكمالاً لهذا التصور يرى جلال الدين الرومي أن لا وجود للشرف في العالم وما يسمى شرًا هو أمر نسبي يدعو السالك إلى الاتحاد بالخير المطلق ومفارقة عالم الصراع بين الأضداد.

وهكذا نجده يكمل في تصوير هذه النظرية شرعاً فيقول:

إذا لا يوجد للاشر المطلق في العالم

واعلم أن الشر شر بالنسبة والقياس

فِي هَذَا الْزَمَانِ لَا سَكُرٌ وَلَا سَمْ

ولاية دم ولاة يد لتلك القدم

كل شيء يمكن أن يكون حلاوة لشخص وسماً لآخر

ة يدال شخص وقدمايسير بها آخر

فِي الْحَيَاةِ الْمُهَاجِرَةِ

هـ السيء لغيرك قد يكون حسنا لك

إذا حكم على الشيء من حلال عيون عشافه

وَلَا تُنْظِرْ إِلَى السَّيِّءِ بَعْدَ يَمِينِكَ

بِلْ انطَرْ إِلَى كُلِّ مَطْلُوبٍ بَعْدِ طَابِ يَهُ

بل أكثر انظر إلى صاحب الوجه

الجميل بعين تستعيرها منه. (٢١)

وفي محل آخر من ديوانه المنشوي يقول:

ليس في مَا خلق الله باطلًا يرى

من غضب أو حلم، من نصح أو مكر. (٢٢)

وكما هو واضح، فإن الرومي يرى في وجود بعض الشرور ضرورة لا بد منها تقتضيها دواعي تكامل الوجود ويعللها كما الغزالى بالحكمة والمصلحة التي يراها الله، وليس هذه النظرية من إختراع فنوات جلال الدين الرومي ولا من وضعه وإنما هي النظرية الأكثر رواجاً بين العرفاء والحكماء، ومن هؤلاء عضد الدين الإيجي صاحب المواقف، صديق وأستاذ حافظ الشيرازي، الذي يؤكد حقيقة أن الشر القليل أمر لا بد منه، وينفي وجود الشر المحسن في هذا العالم ويقول في مقام تفسير وجود الشر ولو كان قليلاً:

«ليس بالإمكان تنقية هذا العالم من الشر، والعالم العلوي وحده أي عالم العقول والأفلاك بريء من الشر، وكلامنا في الشر القليل اللازم للخيرات الكثيرة ومن الواضح عدم إمكان قطع الشيء عن لوازمه؛ ولذلك يمكن القول إن المقصود الأول والأصلي الداخل في القضاء الإلهي هو الخير، والشر يأتي عرضاً وبالتالي. ومن الواضح أن منع المطر الذي لا شك في نفعه خلاف الحكمة إذا كان هذا خشية تضرر بعض البيوت أو أذية بعض المسافرين في الصحراء...». (٢٣)

ومن أبرز النماذج المؤيدة للتفسير المصلحي للشر؛ أي ما يبدو بظاهره شرًّا وهو في الواقع هو خير، ما يقصه القرآن عن مرافقة موسى للخضر وملخص القصة أن الخضر يشترط على موسى ليصاحبه أن لا يعترض ولا يسأل عن أي تصرف يصدر منه إلى أن يحدثه هو بنفسه. ويبدا السفر في البحر فيُفرق الخضر السفينة التي يركبان فيها، فينفذ صبر موسى تجاه هذا التصرف فيذكره الخضر بالشرط فيسكت، ثم يصلان إلى

قرية فيقتل فيها الخضر ولداً وبعد ذلك يستطuman أهل القرية فلا يطعمونهما ومع ذلك يعمد الخضر إلى جدار يميل إلى الانهدام فيعاود بناءه. عندها ينفض موسى يده من الشرط ويبدا بالسؤال والاستجواب، فيبدأ الخضر بتوضيح فعاله وتبريرها أما السفينة فكات لمساكين يعملون في البحر فخرقها كي يحميها من مصادرية السلطان لها، أما الولد فإنه كافر يخشى منه على أبويه المؤمنين ولذلك استحق القتل، وأما الجدار فإن تحته كنز لطفلين يتيمين أردت أن أخفيه إلى أن يبلغ الطفلان سن الرشد فيستخرجان كنزهما، ويقول الخضر: لم أفعل هذا إلا بأمر الله، هذا تأويل ما لم تستطع عليه صبراً. (٢٤)

ومن هذه الآيات يعلم أن النبي موسى بالرغم من مقام النبوة لم يطلع على المصلحة الكامنة في بعض الأفعال، وما كان من الخضر، فهو علم خاص تابع لرحمة من عند الله على حد تعبير الآية: «فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً». (٢٥)

ويؤمن الشيعة والمعتزلة أن الإنسان يتحمل تبعات أفعاله تجاه العدل الإلهي. فلا ظلم يصدر منه تعالى (سورة الأنعام، الآية ١٦٠). وهو حكيم عادل (سورة النساء، الآية ١١٢). لا يجوز في حكمه، وهو الذي يهدي الإنسان إلى اختيار الأصلح، ولا يكلف الإنسان ما لا يطيق، وما يفعل الإنسان من خير أو شر يجز به. (٢٦) الخير والشر في شعر حافظ:

قال شيخنا قلم الصانع (الله) لا يكتب خطأ
عاشت تلك العين الطاهرة التي تستر العيوب
لهذا البيت لحافظ الشيرازي روابط وثيقة بالتصور الأشعري من جهة. وبالتصور
الفلسفي من جهة أخرى لما فيه من عرض للمسألة بطريقة ساخرة. وقد كان هذا البيت
من الآيات التي وقع التضارب في شرحها، حيث هناك من رأى حافظاً في هذا البيت
فيلسوفاً يعتقد بأن ما نتج عن الخلق هو النظام الأتم الأكمل. (ورأى فيه قوم آخرون غير
ذلك). وعلى أي حال في شعر حافظ عدد من المحطات التي تؤيد القول الأول.
و كذلك قوله:

الهواش

- (١) - الشیخ محمود شبستری، کلشن ران، باهتمام: احمد مجاهد، طهران، ط١، الیت ٨٧١.
- (٢) - رسالت حق الیقین، الباب الرابع، ص ١١.
- (٣) - ملا صدراء، الشواهد الروبیة، تحقیق السید جلال الدین الأشتیانی، ط٢، قم، بوستان کتاب، ١٣٨٢ هـ، ص ٢٥٢.
- (٤) - انظر: المصدر نفسه.
- (٥) - المصدر نفسه.
- (٦) - انظر: ملا صدراء، الأسفار الأربعیة، ج ١، ص ٨٤-١٠٤، وج ٢، ص ٤٠.
- (٧) - السید جلال الدین الأشتیانی، هدایة الطالبین، (رسائل السبزواری)، ص ٢٢٧.
- (٨) - ملا هادی سبزواری، المنظومة، الطبعة الحجرية، لاتا، ص ١٢٢.
- (٩) - مرتضی مطهري، الشرح المبسوط للمنظومة، الطبعة الفارسیة، ج ١، ص ١٠٠.
- (١٠) - شهاب الدین السهروری، المشارع والمطارات، المجموعة الأولى في الحکمة الإلهیة، طبع اسطنبول، ص ٤٦٧.
- (١١) - نقلًا عن: ابراهیم دینانی، غلام حسین، شعاع الفكر والشهود، فارسی، ص ٤٧١.
- (١٢) - ملا هادی سبزواری، الرسائل، ص ٣٢٥.
- (١٣) - المصدر نفسه، ص ٢٦٦.
- (١٤) - انظر: مرتضی المطهري، العدل الإلهی، المجلد ٥ من مجموعة الآثار، قم، صدراء، ١٣٦٧.
- (١٥) - أبو المجد مجدد بن آدم سنائی، حدیقة الحقيقة، باهتمام المدرس الرضوی، ص ٨٣.
- (١٦) - أبو حامد الغزالی، کیمیاء السعاده (فارسی)، باهتمام أحمد آرام، ج ١، ص ١٢٨.
- (١٧) - سهراب سپهري، هشت کتاب، ط٧، طهران، طهوری ١٣٦٩، قصيدة: وقع أقدام المطر.
- (١٨) - شعاع الفكر والشهود، مصدر سابق، ص ١٦٨.
- (١٩) - زکریا القزوینی، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط٤، مصر، ١٣٩٠ هـ، ص ٦.
- (٢٠) - جلال الدین الرومی، مثنوی معنوی، الدفتر ٢، الیت ٢٥٣٥ فصاعدًا.
- (٢١) - المصدر نفسه، الدفتر ٤، الیت ٦٥، فصاعدًا.
- (٢٢) - المصدر نفسه، الدفتر ٦، الیت ٢٥٩٧.
- (٢٣) - نقل بالمضمون من: السید شریف الجرجانی، شرح المواقف، قسطنطینیة، ١٢٨٦ هـ، ص ٥٢٨-٥٢٩.
- (٢٤) - سورة الكهف: الآیات ٦٥-٨٢.
- (٢٥) - سورة الكهف: الآیة ٧٥.
- (٢٦) - سورة البقرة: الآیة ٢٨٦. سورة الأنبياء، الآیة ٢٥. سورة الأحزاب، الآیات ٧٠-٧٣. سورة فاطر: الآیة ١٨، سورة الزمر: الآیة ٩، سورة الأحقاف: الآیة ١٨. سورة النجم: الآیات ٤١-٣١.